حربٌ على الإرهابِ .. أم حربٌ على الإسلاَم ؟!

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وبعد.

فقد تناها إلى مسامعنا وأبصارنا ما تناقلته وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمكتوبة ما حصل مؤخراً في أمريكا من تدمير لبعض منشآتها العسكرية والاقتصادية .. وقد خاض الخائضون بين مؤيد ومعارض .. وكثير منهم حكّم الهوى والعاطفة لجبن أو لارتباط بجهات حكومية مشبوهة تحتم عليهم أن يُطلقوا تصريحاتهم وأحكامهم في اتجاه معين وفق ما ترتضيه بعض الجهات أو الهيئات الرسمية الحكومية .. فضلوا وأضلوا .. وأساءوا من حيث يعلمون أو لا يعلمون .. مما حملنا على الشعور بضرورة تسجيل بعض الملاحظات حول ما حدث .. إنصافاً للحق .. وإبطالاً للباطل ولو كره المنافقون الكافرون .. والله تعالى وحده حسبنا ونعم الوكيل.

وألخص هذه الملاحظات في النقاط التالية:

1- إلى ساعة كتابة هذه الكلمات كل ما صدر عن مكاتب التحقيق الأمريكية لا يفيد أن من قاموا بتلك العمليات هم مسلمون .. أو من الجماعات الإسلامية .. وأن كل ما قيل إنما هو من قبيل الظن والتخريص، والاشتباه .. والظن والاشتباه لا يُغني من اليقين والحق شيئاً، بدليل أن كثيراً ممن اشتبه بهم، وكثر كلام الإعلام عليهم .. لم يبقوا في الحجز للتحقيق معهم سوى سويعات .. لإدراك الجهات الأمنية المختصة ببراءتهم!

إضافة إلى ذلك فإن الجهة الإسلامية التي يُشار إليها بأصابع الاتهام؛ وهي حركة الطالبان .. فقد أعلنوا أكثر من مرة إدانتهم لذلك العمل .. وأنهم برآء منه .. وكذلك الشيخ أسامة المتهم الأول في هذه القضية .. أعلن أكثر من مرة أنه لم يكن له أدنى ضلوع أو مشاركة فيما حصل .. وأن ظروف إقامته في أفغانستان لا تمكنه من القيام بمثل هذا العمل.

الذي نريده من هذه الحقائق الآنفة الذكر .. أننا لسنا مضطرين ـ كمسلمين ـ للبحث أو الخوض في مدى شرعية تلك الأعمال التي حصلت في أمريكا أو عدم شرعيتها .. إذ أن الأمر لا يعني ولا يخص المسلمين من هذا الوجه .. وبالتالي فلسنا مسؤولين أو ملزمين شرعاً وعقلاً للبحث في شرعية أعمال يقوم بها أناس مجهولي الحال والهوية .. كما أننا نجهل غايات ومقاصد وظروف من قاموا بذلك العمل!!

فالحكم الشرعي لكي يكون صائباً لا بد أولاً من الإحاطة بجميع جوانب وفروع المسألة ذات العلاقة .. وإلى حين ثبوت ضلوع طرف إسلامي بعينه في ذلك الحدث .. ومعرفة جميع أبعاد ما حصل .. فحينئذٍ يكون التأصيل العلمي الشرعي له مبرراته ومسوغاته .. وذلك أن الفتوى يلزمها أمران: معرفة النصوص الشرعية ذات العلاقة بالفتوى أو المسألة .. ومعرفة واقع المسألة على وجه التدقيق والتحقيق التي تُحمل عليها تلك النصوص .. والله تعالى أعلم.

ومن جهة فإننا لا نعمل كموظفين في دائرة الإفتاء الأمريكي .. لكي نسرع إلى إصدار الفتاوى لكل نازلة تنزل في المجتمع أو الدولة الأمريكية ..!!

2- لا بد من الاعتراف أن أمريكا .. دولة محاربة معادية للإسلام والمسلمين .. بل هي الدولة الكبرى التي ترعى عمليات قتل، وحصار، وتجويع الشعوب الإسلامية .. وما من جريمة إرهابية تحصل بحق المسلمين هنا أو هناك إلا وتجد البصمات والدعم الأمريكي من ورائها ..!

فها هي فلسطين ومنذ أكثر من خمسين عاماً تعاني من وطأة وإرهاب الاحتلال الصهيوني اليهودي .. يقتلون أبناء المسلمين .. ويهدمون بيوتهم .. ويصادرون أراضيهم وممتلكاتهم ويستحلون حرماتهم ومقدساتهم .. تحت مرأى ومسمع .. بل ودعم أمريكا ..!

كم هي المجازر الجماعية الإرهابية التي قامت بها عصابات يهود بحق المسلمين الفلسطينيين .. بأسلحة ودعم وتأييد أمريكي ..!

مجزرة صبرا وشاتيلا .. وقتل المسلمين وهم في المسجد الإبراهيمي وهم ركعاً وسجداً .. على أيدي عصابات يهود .. أليس هذا من الإرهاب ..؟!!

أين كانت أمريكا .. والعالم الذي يتباكى على عتبات الإرهاب .. من كل ذلك .. لماذا لم تحصل ذات الحملة على الإرهاب الحاصلة اليوم .. ولماذا لم تُعبأ الشعوب والأمم على محاربة الإرهاب كما هي تُعبأ اليوم ؟!

الجواب يعرفه الجميع: وهو أن ضحايا صبرا وشاتيلا .. من المسلمين الفلسطينيين .. بينما ضحايا اليوم هم من الأمريكيين النصارى..!!

كم من مرة يدان الإرهاب اليهودي الإسرائيلي من قبل المجتمع الدولي .. ويقف الفيتو الأمريكي حائلاً دون أن يوجه إلى ربائبهم من اليهود أدنى نقد أو إدانة فضلاً عن أن تنزل بهم العقوبات التي تنزل بغيرهم لأدنى مخالفة .. وأحياناً بلا مخالفة!!

هذا الحصار الضارب على رقاب الشعب العراقي المسلم منذ أكثر من عشر سنوات .. أليس من الإرهاب الذي ترعاه وتحميه أمريكا وحلفاؤها ..!

قتل مليون طفل من أبناء الشعب المسلم العراقي جوعاً ومرضاً بسبب ذلك الحصار الجائر الذي ترعاه وتفرضه أمريكا .. أليس من الإرهاب ..؟!

كم من مرة يقتل الأمريكان أطفال ونساء العراق .. براجمات صواريخهم وطائراتهم ..
ومن دون أن يُقدموا أدنى اعتذار .. أليس هذا من الإرهاب ..؟!!

تدمير مصانع الأدوية في السودان وقتل الأبرياء .. بصواريخ أمريكية عابرة للقارات .. وعلى أيدي الجنود الأمريكيين .. أليس هذا من الإرهاب ؟!!

قتل شعب بكامله في الشيشان .. على مرأى ومسمع ورضى من الأمريكان .. أليس هذا من الإرهاب ..؟!

المقابر الجماعية التي حصلت لعشرات الآلاف من المسلمين في البوسنة والهرسك .. أليس هذا من الإرهاب ..؟!

هذا الحصار الظالم على أفغانستان .. وشعب أفغانستان المسلم .. ليقتل يومياً مئات الأطفال جوعاً

.. والذي ترعاه وتفرضه أمريكا .. أليس هذا من الإرهاب ؟!

هذا الدعم الأمريكي المباشر لجرائم الهندوس عبدة البقر في حق مسلمي كشمير .. أليس من الإرهاب ..؟!!

قتل المئات من المسلمين .. وحرق المساجد على من فيها من المصلين .. في جزر مولاكو في إندونيسيا .. على مرأى ومسمع ودعم من العالم الغربي والأمريكي المتحضر .. أليس من الإرهاب؟!!

من الذي يدعم الأنظمة الطاغية الدكتاتورية العميلة المنتشرة في بلاد العرب والمسلمين .. التي تقهر وترهب شعوبها بفنون من التعذيب والقتل والتنكيل .. أليس أمريكا راعية الإرهاب العالمي ..؟!!

عندما قتل الطاغية الهالك النصيري حافظ الأسد ـ عميل اليهود والأمريكان ـ أكثر من عشرين ألف من أهالي مدينة حماه وفي يوم واحد .. أليس هذا من الإرهاب .. أين كانت أمريكا يومئذٍ وحملتها هذه ضد الإرهاب ..؟!

من الذي ألقى القنابل النووية الذرية .. التي أبادت شعباً بكامله في اليابان وغيرها .. والتي لا تزال آثارها السيئة بادية على الناس إلى الساعة .. أليست أمريكا التي تتزعم اليوم الحرب على الإرهاب .. زعمت ..؟!!

هذه الجرائم الإرهابية وغيرها الكثير الكثير .. لماذا لم نسمع صوتاً لأمريكا وحلفائها من قوى الكفر والنفاق .. ينددون ويتوعدون فيه الإرهاب .. والإرهابيين الحقيقيين ؟!

الجواب ما قلناه من قبل: هو أن الضحايا كانوا من المسلمين .. الدم المسفوك كان دماً إسلامياً رخيصاً لا يستحق من أمريكا والمجتمع الغربي الصليبي المتحضر بيان تنديد للفاعلين .. فضلاً عن أن يشنوا لأجله الحروب كحالهم اليوم!!

ولو صدقت أمريكا ـ ولن تصدق ـ بأنها ستحارب الإرهاب .. ومن يدعم الإرهاب .. أو يأوي الإرهاب .. لحاربت نفسها بنفسها .. لأنها هي أم الإرهاب .. وراعية الإرهاب المنظم الدولي في العالم .. المتمثل ـ بالدرجة الأولى ـ في رعايتها وحمايتها للإرهاب اليهودي الصهيوني في فلسطين، وغير فلسطين ..؟!

وهاهي اليوم تُعلن أمريكا وبكل وضوح عن عزمها ورغبتها في إلغاء العمل بالقانون الذي يحرم الاغتيالات الشخصية .. لاحتياجها إلى الاغتيالات في حملتها الصليبية ضد الإسلام والمسلمين .. أليس هذا من الإرهاب المنظم .. أم أنه يجوز لها مالا يجوز لغيرها ؟!!

هذا وغيره يجعلنا نجزم بأن أمريكا دولة إرهابية محاربة للإسلام والمسلمين أينما كانوا .. بكل ما تعني كلمة المحاربة والإرهاب من معنى.

وبالتالي فإن أمريكا ـ بتاريخها الحافل في الإرهاب .. وفي نصرة الإرهـاب .. وإيواء إرهاب الصهاينة اليهود والدفاع عنهم ـ هي السبب والمسؤولة الأولى لما حصل لها في هذه الأيام .. فجنت على نفسها بنفسها .. وعاقبها الله تعالى من جنس أعمالها بحق الآخرين!

3- فإن قيل أمريكا ليست دولة محاربة .. وإنما هي دولة معاهدة .. تربطها عهود ومواثيق مع المسلمين ..؟!!

أقول: أي عهد وهي ترعى الإرهاب العالمي .. وتشن الحرب تلوى الأخرى على الإسلام والمسلمين ..؟!

أي عهد وهي ترعى وتحمي وتدرب عصابات الصهاينة اليهود في أراضيها .. على اغتيال وقتل وإرهاب المسلمين في فلسطين ..؟!

أمريكا لا يوجد بينها وبين أي مسلم عهد .. إلا مسلم دخل طواعية أراضي أمريكا معاهداً مستأمَنا .. فهذا العهد لا يُلزم إلا شخص المعاهد المستأمَن فقط .. فهو لا يُلزم مجموع الأمة .. أو أحداً غيره من المسلمين .. لأن أمريكا في حرب صريحة مع الأمة كل الأمة ..!

ثم هذا الفرد المستأمَن .. يتعرض للأذى في نفسه وعرضه .. مما يقلل من قيمة هذا العهد الذي بينه وبينهم ..!

فكم من مسلم .. ومسلمة .. اعتدي عليهم في أمريكا .. وفي بلاد الغرب المتحضر .. لمجرد أن سمعوا من الإعلام الذي يهيمن عليه عصابات صهيون .. بأن هذه العمليات وراءها نفر من المسلمين ..؟!

كم من امرأة اعتدي على حجابها وشرفها في الشارع .. من قبل هذا الإنسان الأمريكي .. أو الغربي المتحضر .. فهل هذا من الوفاء بالعهد والأمان ..؟!!

عشرات الآلاف من المسلمين في أمريكا .. وغيرها من بلاد الغرب .. إلى الساعة هم حبيسي بيوتهم لا يستطيعون الخروج من منازلهم خشية الاعتداء عليهم وعلى نسائهم .. فهل هذا من الوفاء بالعهد والأمان ..؟!

وكان آخر ما تناها إلى مسامعي حول هذا الأمر: أن رجلاً خليجياً يمشي في شوارع لندن وبجواره زوجته المتحجبة .. فقام أحد المتحضرين الحاقدين من أبناء البلد .. وكان بيده زجاجة خمر فكسرها وطعن بها وجه ذلك المسلم الخليجي .. فهل هذا من الوفاء بالعهد والأمان ؟!

قد لفت نظري معلق غربي صليبي .. وهو يتهكم على الثياب المهترئة التي يرتديها الإنسان الأفغاني التي توحي ـ على حسب قول هذا المعلق ـ أنه إنسان متخلف يعيش في القرون الوسطى ..!!

ولنا أن نسأل: رغم هذا الحصار الشديد الظالم على أفغانستان وعلى شعب أفغانستان الذي ترعاه وتفرضه أمريكا وحلفائها من دول الغرب .. هل يستطيع أحد أن يثبت أن أحداً من الأمريكيين أو الغربيين العاملين هناك في مجالات الإغاثة وغيرها .. قد تعرض للأذى من قبل آحاد الناس من الأفغان .. رغم أن السلاح متوفر للجميع .. ولا يصعب على أحدٍ تأمينه ..؟!

ما الذي منع هذا الأفغاني الفقير ذي الثياب الرثة أن يعتدي على الإنسان الأوربي الغني .. رغم ظلم الآخر له ظلماً حقيقياً .. واعتداء الآخر عليه وعلى بلاده وأهله، وقوت يومه اعتداء حقيقياً ..؟!

إنه دينه وعقيدته وثقافته التي تعرفه أن للمستأمَن حق يجب أن يُعطاه وإن كان عدوا..؟!

أيهما أكثر تحضراً ورقياً هذا الإنسان الأمريكي أو الغربي ذي الثياب الفخمة الجميلة .. الذي يغدر بالعهد .. ويعتدي على حرمات ونساء المستأمنين .. أم ذلك المسلم الفقير ذي الثياب المهترئة الرثّة .. الذي يُنصف الظالم المعتدي من نفسه؟!

وما قلناه عن أفغانستان وشعب أفغانستان، نقوله عن العراق وشعب العراق .. وعن فلسطين .. وشعب فلسطين ..!

فرغم أن أمريكا وراء جرائم اليهود في فلسطين .. وعلى مدار أكثر من خمسين عاماً .. فهل يعرف أحد أن

الفلسطينيين المسلمين قاموا بالتعرض بالأذى لأمريكي واحد أو أوربي زائر مستأمن ..؟!

أنظر الفارق الكبير بين معاملة الأمريكيين والأوربيين السيئة لمسلمي أهل الخليج المستأمنين في بلاد الغرب في هذه الأيام .. وبين معاملة أهل الخليج للأمريكيين والأوربيين الموجودين في بلاد الخليج ..؟!!

الذي نريد قوله: أن الرقي والتقدم وكذلك التخلف لا يمكن أن يُقاس بحسب جمال الثياب وغلائها .. أو بحسب الغنى وكثرة المتاع والاستهلاك للأشياء .. وإنما بالأخلاق والقيم العليا التي يتحلى بها شعب دون الآخر .. وتحكم شعباً دون الآخر!

ونريد القول كذلك: أن هذا المسلم المعاهد المستأمَن في أمريكا وبلاد الغرب الذي يتعرض لصنوف من الأذى والإهانات .. مما يجعلنا نشك بقيمة هذا العهد أو الأمان وبمدى فعاليته وقوته .. أو شرعيته!

4- يجب العلم أن هذه الحملة التي تقودها أمريكا ضد الإرهاب هي في حقيقتها حملة صريحة ضد الإسلام والمسلمين تحت ذريعة حرب الإرهاب والإرهابيين، دل على ذلك أمران:

أولهما: التصريحات الرسمية للمسؤولين الأمريكيين والغربيين: فهاهو الرئيس الأمريكي جورج بوش يعلنها بكل صراحة ووضوح ـ كما تناقلت ذلك وسائل الإعلام ـ بأنها حرب صليبية ضد الإرهاب .. ستكون طويلة الأمد .. وأن أمريكا غضبت .. ولويل كل الويل لمن تغضب عليه أمريكا وتتسخطه ..!!

وكأن أمريكا هي الرب الذي إذا غضب لا يقوم لغضبه شيء .. وهذا عين الكفر .. والطغيان .. وذروة التكبر والفساد في الأرض .. وما كان كذلك لن يدوم .. وهو أقرب ما يكون إلى الزوال والدمار بإذن الله، كما قال تعالى:

[illegible]